المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:07، العدد:01 (2023)، ص45-56

قراءة تاريخية في الإسهامات العلمية للملك الموريطاني يوبا الثاني

A historical reading on the scientific contributions of the Mauritanian King Juba II

نجوى راشي
جامعة سطيف 02 (الجزائر)
nadjouarachi@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2023/02/24
تاريخ القبول:
2023/05/11

الكلمات المفتاحية:
- ✓ يوبا الثاني
- ✓ موريطانيا
- ✓ الملك
- ✓ الكاتب

الملخص:

يتمحور موضوع دراستنا حول رصد أهم المعطيات التاريخية والجغرافية التي تطرق إليها الملك الموريطاني يوبا الثاني في أعماله الأدبية حول العالم القديم بصفة عامة وبلاد المغرب القديم بصفة خاصة، هذه المنطقة التي استلهمت أقلام الملوك والمؤرخين منذ عهود قديمة، فكتبوا عنها كل حسب ظروف العصر الذي كان يعيش فيه، ولذلك جاء هدف ورقتنا البحثية على الوقوف من جهة على أهمية كتابات الملك يوبا الثاني كمادة مصدرية في كتابة تاريخ العالم القديم دون استثناء، نظرا لموسوعيته الفكرية واطلاّعه الثقافي الواسع أكثر من حكمه السياسي، وكذا إبراز ما يزخر به بلاد المغرب القديم من مقومات اقتصادية ونباتية (طبّية) جعلته محل أطماع حضارات المتوسط الكبرى، ومن جهة أخرى الإشارة إلى حقيقة الكتابات الكلاسيكية التي تبّاينت مواقفها وآراؤها بين منصف وناقد، وبين مؤيد ورافض لفحوى مؤلفاته؟

Article info

Received:
24/02/2023
Accepted:
11/05/2023

Key words:
- ✓ Yuba II
- ✓ Mauritania
- ✓ The king
- ✓ The writer

Abstract:

The subject of our study revolves around monitoring the most important historical and geographical data touched upon by King Yuba II in his literary works about the ancient world in general and the country of the old Maghreb in particular, this region that inspired the pens of kings and historians since ancient times, so they wrote about each according to the circumstances of the era in which he vegetarianism(medicine) made it the object of the ambitions of the great civilizations of the Mediterranean, and on the one hand Another reference to the fact of classical writings whose positions and opinions varied between a fair and a critic, and between a supporter and a rejection of the content of his writings ?

مقدمة

اهتم المؤرخون القدماء من الإغريق واللّاتين بوصف مختلف مناطق العالم القديم، ومنها منطقة شمال إفريقيا، وبفضلهم تمكنّا كباحثين من التعرف على معلومات ذات أهمية علمية كبيرة حول تاريخ هذه المنطقة، غير أنه لا يمكنّنا حصر هذه الإسهامات الفكرية في أبحاث المؤرخين الأجانب فقط، إذ نالت هذه الأخيرة اهتمامات الملوك والطبقات المثقفة المحلية التي خصصت كل إمكانياتها الفكرية للتنويه بتاريخ المنطقة وإزالة الغموض عنها، ولعّل من أبرز الشخصيات التاريخية نجد الملك المثقف يوبا أو جوبا الثاني الذي يعد من ألمع الشخصيات النوميدية من حيث سعة الثقافة وتعدد اللغات، وكثافة المعارف العلمية، كما اعتبر أفضل حصيلة للتفاعل الثقافي في الجزائر القديمة بالرغم من سلب الرومان لحرية سيادته الفعلية على مملكته، ففي هذا الصدد يقول المؤرخ الروماني بلين الكبير: "**إن شهرة يوبا الثاني كعالم هي أكثر من شهرته كملك**"، ولأن هذا الأمر يجعلنا في موضع الشك من حيث التناول التاريخي لهذه المسألة، وفي هذا السياق يمكننا أن نحدد الهدف العام للدراسة، والذي يكمن في تبيان الدور التاريخي الذي قام به الملك يوبا الثاني خاصة من ناحية رصد أهم المعلومات التاريخية والجغرافية وحتى الاثنوغرافية النادرة لبعض الأقوام والمناطق الجغرافية التي زارها من خلال رحلاته العسكرية التي قام بها لبعض الأماكن التاريخية، مثل: المغرب القديم، الشرق...الخ ، محاولين في نفس الوقت تبيان أهم الآراء ووجهات النظر التي ذكرت من قبل أهم المؤرخين والكتاب آنذاك معتمدين في سرد هذه الأحداث على المنهج التاريخي التحليلي وأدواته من تحليل ونقد، وفي هذا السياق نطرح الإشكالية التالية : **ما هي أهم المؤلفات الأدبية التي دونّها هذا الملك النوميدي؟ إلى أي مدّى ساهم في تطوير الحياة الأدبية في العالم القديم بصفة عامة، وبلاد المغرب القديم بصفة خاصة؟ وهل أنصفته الدراسات التاريخية أم لا؟**

1. نبذة تاريخية عن حياة الملك يوبا الثاني

قبل التطرق إلى أهم الانجازات والمخلفات الأدبية التي ألفها الملك يوبا الثاني، لابد من التنويه في البداية عن السيرة الذاتية لهذا الأخير وكيفية نشأته في روما، ودورها في تكوين شخصيته الأدبية التي سوف تظهر للعيان من خلال محتوى مؤلفاته التي تباينت مواضعها بين التاريخية والعلمية والجغرافية، وعلى هذا الأساس سوف نحاول تسليط الضوء على:

1.1.مولد يوبا الثاني ونشأته

ولد يوبا الثاني أو ايوبا الإفريقي في حوالي عام 51/ 50 ق.م بمدينة زاما الملكية ، أسر على يد يوليوس قيصر بعد هزيمة والده يوبا الأول عام 46 ق.م في معركة تابسوس (Thapsus) (رأس الديماس)[1]، ليقتاد بعدها إلى روما في موكب النصر ليوليوس قيصر المرفق بأربعين فيلا بالإضافة إلى لاعبي القتال (Gladiateurs)، وهو لا يزال طفلا صغيرا لا يتجاوز سنّ الخمس سنوات، علما أن هذا النوع من الاحتفالات كان هدفها الأول هو تمجيد عظمة روما وتعظيم القيصر (Caltelloni, 1997, p. 34)، ليتم تربيته في إيطاليا فيما بعد مع غيره من أبناء الملوك المهزومين، ويذكر لنا ديون كاسيوس أنه عاش في ظل أسرة

اشتهرت بالرخاء والرفاهية أين وضع تحت عناية أخت أوكتافيوس قيصر وعمره لا يتجاوز الثانية عشر من عمره، فترعرع في بلاط ملكي وحظي بكل التمييز الذي يليق به كأمير، أين تتلمذّ على يد ذوّي النباهة من العلماء والأدباء الرومانيين والإغريق، وهنا بدأ يظهر ميله الواضح للغة اليونانية وآدابها، ليمنحه فيما بعد أوكتافيوس حق المواطنة الرومانية، وأصبح اسمه كايوس يوليوس يوبا ليكون في المستقبل صديق وحليف الرومان (Dion, 1846, LI,15,6.) .

تزوج يوبا الثاني من الملكة ذات الأصول المصرية كليوباترا سيليني (Cleopatra Selen)، أخذت هي الأخرى كأسيرة وهي تبلغ من العمر تسعة سنوات، فقامت أوكتافيا –أخت أوكتافيوس – بتربيتها في البلاط الروماني، وعندما بلغت الملكة المصرية سن السادسة عشر اقترحت أوكتافيا على أخيها بضرورة تزويجها من الملك المغربي يوبا الثاني حسب ما ذكره بلوتارك (Plutarque, 1853, pp. 7,66).

غير أنه بعد وفاة كليوباترا سيليني في 22 مارس 5 ق.م عن عمر يناهز تقريبا 36 سنة، ترك يوبا الثاني مملكته لثلة من القادة لتسييرها واتجه مباشرة إلى كبدوكيا (Cappadoce) بآسيا الصغرى، والتي كان يحكمها أرخيلوس (Archelaus)، بهدف الاتصال بكايوس قيصر (Gaius Caesar) حفيد أغسطس الذي كان قد رحل إلى آسيا الصغرى في السنة الأولى قبل الميلاد ليجهز حملة على بلاد العرب، وهناك التقى بابنة أرخيلوس وتزوجها، ولكن زواجهما لم يدم طويلا، إذ طلقها مباشرة بعد عودته إلى موريطانيا وأرجعها إلى موطنها (Gsell, 1918–1928, p. 223).

2.1.تكوينه الأدبي

عرف يوبا الثاني بحسن أخلاقه وصفاته، كان سليل أسرة ذات ثقافة إغريقية، جدّه الأكبر مصطنبعل كان ضليعا بالآداب الإغريقية، وجده هيمبصال الثاني الذي يرجح أنه صاحب الكتب البونيقية الذي ذكرها ساليستيوس، حتى والده يوبا الأول كان يبدو ذو طابع هيليني، وعلى الأغلب فقد تمتع يوبا الثاني في بداية عمره بتعليم إغريقي في عاصمة مملكة والده، مما جعله يفضل كتابة كل مؤلفاته لاحقا بالإغريقية.

الجدير بالذكر أن فرصة أسره في روما بعد مقتل والده يوبا الأول عام 46 ق.م وهو صبي، أتاحت له فرصة الاحتكاك أكثر من غيره من أبناء جلدته بالأوساط الثقافية والعلمية، حيث تمت تنشئته في أحضان الإمبراطورية الرومانية مع أقرانه من أبناء الملوك المهزومين، فتعلم اللاّتينية والإغريقية وتضلّع فيهما، وأتقن فنون الخطابة والشعر بمختلف أصنافه والنحو، كما أتقن اللغة البونيقية واللّيبية مع أنه كان مغتربا بالنسبة إلى تلك اللغة، لدرجة أنه أصبح يفتخر بثقافته المزدوجة الجامعة بين اللاتينية واليونانية، بالإضافة إلى رصيد أجداده من اللغتين اللّوبية والبونّية، ولغات أخرى كالعبرية، الأرمينية والحبشية (شنيتي، 2003، ص 164)، وفي هذا السياق يذكر محمد بكبوط قوله: "**لعله من المفيد الإشارة إلى شخصية هذا الملك المتميز فعلاوة عن أصله النوميدي الامازيغي وتربيته الرومانية، فهو بونيقي بما ورثه من قومه من حضارة قرطاج، وإغريقي**

بثقافته وذوقه الفني، ومصري بزواجه من ابنه كليوباترا ملكة مصر، كل هذه الجوانب روعيت بدون شك من طرف الإمبراطورية الرومانية عند اختيار يوبا لاعتلاء عرش موريطانيا" (بكبوط، 2002، ص45).

نتيجة لهذا الاحتكاك أن أصبح يوبا الثاني مولعا بالمعارف التاريخية والجغرافية والفلسفية، مطلّعا على علوم عصره، ملخصا لقواعدها ومدونا في أصولها، وقد اتصف أيضا بكثرة السفر والبحث والتجوال، وبالمثابرة وشدّة الأناة متحملا مشاق ومصاعب اللغات وفقهها، حيث تمكن من دراسة اللغة اللاتينية وتفقه فيها وصنف المفردات الدّخيلة عليها، وفي هذا السيّاق يقول عنه بلوتارك متعجبا بنبوغه: "...**من كونه بربريا نوميديا ومن أكثر الأدباء ظرفا ورهافة حس...**" (شفيق، 1989، ص 77).

2. مؤلفات يوبا الثاني

أعجب يوبا الثاني كثيرا بالمكتبات الأدبية، إذ اطلّع على الكثير منها حينما كان في ايطاليا قبل تتويجه بالحكم مثل: مكتبة (Atrtium Libertatis) بروما سنة 27 ق.م، ولهذا لما تم تعيينه حاكما على مقاطعة موريطانيا شيّد مكتبة كبيرة رائدة، بهدف إنتاج أعمال فكرية وكتابات علمية إلى حيّز الوجود، زوّدها بأمهات الكتب والمستندات العلمية والتاريخية والجغرافية، ووظّف لها أمهر المترجمين والنسّاخين والكتّاب، وكان يستجلب لها الكتب النادرة من حيث كانت، وأمر بجمع النباتات الطبية والأعشاب، ورصد لها أموالا ملكية طائلة مما سمحت له فرصة امتلاك أعداد ضخمة من المخطوطات بمختلف اللغات وعلى رأسها المخطوطات اليونانية واللاتينية والبونيقية التي كانت في مكتبة قرطاج مثل: مخطوط فيثاغورس اليوناني الذي تحصل عليه بثمن باهض، والكتب البونيقية التي يعتقد أنها تعود إلى جده هيمبسال، ونسخة أصلية من رحلة حنون (السليماني، 2007، ص 181،183)، فضلا عن احتوائها لأهم الطرق وتعليمات الإبحار إلى المسافات البعيدة، كما تحوي على خرائط للاماكن المزدهرة البعيدة غير المعروفة في العالم القديم، وهي كلها ملاحظات وضعها الملاّحة والتجار القرطاجيون على اعتبارها مواقع حيوية لممارسة التجارة، ولهذا قد كانت مكتبته إحدى درر عاصمة ملكه قيصرية (شرشال) (بعيطيش، 2021، ص 53).

نتيجة لهذه الظروف المناسبة أن سمحت له فرصة التأليف والكتابة، حيث اشتهر بتدوين المخطوطات والرسائل والبحوث فضلا عن الكتب التاريخية والجغرافية، والتي بلغت تسع عناوين وكانت كلها باللغة الإغريقية، لكن للأسف لم يصلنا أي منها سوى بعض المقتطفات والشذرات، والمبعثرة في كتب بعض المؤرخين القدامى، حيث نجد هذه المقتطفات مبعثرة وإن حاول البعض جمعها مثل: بلوتارخوس وإتيان البيزنطي... الخ، وعبر هذه الشذرات يمكن أن نعرف عدة عناوين منها:

1.2. مؤلف آرابيكا/ عربيكا (Arabica) أو "**تاريخ بلاد العرب**"

هو عبارة عن كتاب تاريخي وجغرافي ضخم يحتوي على معلومات جغرافية مختلفة، فضلا عن معلومات تخص الاثنوغرافيا (شفيق، 1989، ص 77-78)، ألفه يوبا الثاني على الأغلب أثناء رحلته العسكرية بالشرق، وأهداه فيما بعد إلى الإمبراطور كايوس قيصر تيبريوس –ابن اوكتافيوس بالتبني –الذي كلّفه بإعداد

تقرير عن الجزيرة العربية لغزوها، أو ربما أيام تعيينه كحاكم على فلسطين (حارش، 2013، ص165)، تحدث فيه عن كل ما يتعلق بالتاريخ الطبيعي للبلاد العربية (شنيتي، 2003، ص 165)، من حيث تطرقه إلى الموقع الجغرافي لبلاد العرب والشواطئ والسواحل التي تحيط شبه الجزيرة العربية كالخليج الفارسي والمحيط الهندي، ووصف البلاد التي تقع أقصى الشرق منها، وهي بلاد الهند التي ذكر شعوبها المختلفة من بينها اللباس، الأكل، عاداتهم وطقوسهم، وتحدث فيه أيضا عن بلاد الحبشة (أثيوبيا) وجنوب مصر وبداية نهر النيل في الجنوب، ويعرج فيه إلى عالم الحيوانات النباتات والأعشاب الطبية (السليماني، 2007، ص 186) .

بالتالي ساعدت هذه المعلومات الجغرافية والطبيعية والاثنوغرافية أشهر المؤرخين الإغريق على الاقتباس منها، وعلى سبيل المثال لا للحصر نجد المؤرخ الإغريقي بلينوس الذي اقتبس منه جوانب عديدة أغنى بها كتابه "**التاريخ الطبيعي**" **Histoire Naturelle**"، كما ردّدها في مناسبات عديدة (Pline, 1980, IX,56,4).

2.2. ليبيكا أو أخبار ليبيا (Libyca)

يعتبر من أهم وأشهر مؤلفات يوبا الثاني، يتكون من ثلاث مجلدات على الأقل ، تضمن معلومات قيّمة عن بلاد المغرب القديم من حيث تاريخها الطبيعي وجغرافيتها والأساطير والنباتات والأعشاب الطبية[2]، فضلا عن الحيوانات التي انتشرت بها خاصة تلك التي كانت تعيش في مملكة موريطانيا (Gsell ,1927, p. 170) مثل: الفيلة، النمور، الأسود، الغزلان، حمير الوحش ...الخ (شنيتي، 2003، ص 165)، بالإضافة إلى حديثه عن أصل السكان وعاداتهم وخصالهم ولغاتهم ومعمل نسيج الثياب الفاخرة والصباغة الأرجوانية الذي أسسه بالسويرة[3]، كما ذكر في هذا الكتاب رحلاته العلمية والاستكشافية داخل جبال الأطلس ونحو جزر الكناري بهدف استكشاف وشرح شواطئ القارة الإفريقية، وذكر جبال الأطلس الموجودة في الجزائر والمغرب، وفي رحلته هذه يصل إلى نتائج أبحاثه عن وادي النيل وجزر الكناري، ومن الأمور التي ذكرها أيضا في هذا المؤلف هو سرده لرواية "**الأسد الحقود**" التي ما زالت تحكى من قبل الأمهات والجدّات في عدة مناطق مغاربية باللغة البربرية في ليالي السمر، مما يعكس على أن المبدعين المغاربة كانوا سبّاقين في مجال السردّيات بصفة عامة بما فيها القصة أو الحكاية، وفي ذلك دلالة على أن الأدب الشفوي قد يحفظ خيرا مما يحفظ المدون (شفيق، 1989، ص 77).

3.2.تاريخ المسرح

اعتنى يوبا الثاني بالكوريغرافيا المسرحية الهادفة والممتعة عناية فائقة، فألف في ذلك كتابا خاصا به عرف بعنوان "**تاريخ المسرح**"، كتب منه ثمانية عشر مجلدا، جمع فيه دراسات شاملة حول الموسيقى والرقص والتمثيل، بدليل أن فقرات هذا الكتاب تشير إلى الآلات الموسيقية التي وقع اختراعها في بلدان مختلفة وبرقصات إغريقية وأجنبية وبالطريقة التي يحسن أن توزع بها الأدوار مع الممثلين، ولهذا يثّمن الباحثين الانجازات القيّمة التي حققها المثقف يوبا الثاني في مجال الدراما المأساوية والتمثيل والتكوين المسرحي

(بوزيان، 2003، ص 55)، وإنشائه للمسارح الثقافية مثلما شيّد في مدينة شرشال، وليلي، ليكسوس..الخ، وأشهرهم المسرح العتيق الذي يوجد في شرشال وأمامه تمثال كبير من المرمر يمثل شخصا إمبراطوريا يخطب على جيوشه (Gsell, 1927, p. 195).

4.2. كتاب اللغويات

أتقن يوبا الثاني اللغة الإغريقية واللاتينية والبونيقية ولغته الليبية، حيث اهتم بشغف مثير في دراسة فن الحديث ولغة التخاطب وما داخلها من ألفاظ فاسدة، فألف في ذلك كتابا خاصا يتكون من خمسة عشر جزءا تحت عنوان "**التحريف في اللغة**"، إذ كان يجتهد في البحث عن مشتقات إغريقية للكثير من الكلمات اللاتينية ورجع أصولها الحقيقية (اليونانية) اعتمادا على الاشتقاق (ساحير، 2011، ص 265)، فضلا عن دراسته لتاريخ الفن والموسيقى، حيث خصص لها كتبا وافية وشاملة عرّف فيها مخترعي الموسيقى وأشار إلى طبيعة حرفتهم والآلات الموسيقية التي كانوا يستعملونها فرصد إيقاعاتها وألحانها، وفي الوقت نفسه تحدث بإسهاب عن الفنون المجاورة للموسيقى مثل: الرقص، التمثيل، المسرح والنحت...الخ، وكان يوبا الثاني يستدعي العلماء والفنانين والأدباء من روما وأثينا ليفيدوا الأمازيغيين في المجال الثقافي والفني بصفة عامة والفن الموسيقى بصفة خاص، ولقد أنشأ يوبا الثاني معهدا لتعليم الموسيقى في عاصمة القيصرية شرشال كما ألف موسوعة موسيقية مهمة (بوزيان، 2003، ص 55).

5.2. كتاب تاريخ الرسم والرسامين

يعتبر من أهم الكتب الفنية التي ألفها يوبا الثاني للتعريف بفن الرسم والتصوير على مستوى الموضوع والشكل والأدوات مع كتابة تراجم الرسامين اليونان والرومان والبونيقيين والامازيغ على حد سواء، يضم ثمانية أجزاء على الأقل، وذكر الكتاب بعض الفنانيين المشهورين آنذاك مثل: بوليكنوت "**Polygnote**" وبارهاسيوس "**Parrhasius**" وغيرهم (Gsell, , 1918–1928, p. 235).

6.2. كتب عن التاريخ الروماني

ألّف عدّة مؤلفات تتحدث عن تاريخ روما، ولعّل أبرزها نجد الكتاب المعنون بـ: "**التاريخ الروماني**"، "**الآثار الرومانية**"، إذ تطرق فيهما إلى السكان الأوائل لإيطاليا وأحداث معركة نومانس باسبانيا (ساحير، 2011، ص 263–264)، بينما في "**مؤلف المشابهات**" "Les Similitudes" قارن فيه عادات وطباع وتقاليد اليونان والرومان (حارش، 2013، ص 218).

7.2. كتاب بابلونيكا (Babylonica) وآثار أشور

ألف عدة كتب حول الحضارات الشرقية وبالتحديد منطقة بابل وآشور، حيث عنون الكتاب الأول باسم بابلونيكا "**Babylonica**"، تحدث فيه عن تاريخ بابل وعن الملكة الميدّية الشهيرة سميراميس صاحبة قصة الحدائق المعلقة والملك نبوخذ نصر الثاني وحروبه ضد المصريين واليهود (ساحير، 2011، ص 264)، بينما

الكتاب الثاني المعنون تحت اسم "**آثار أشور**"، تطرق فيه إلى بلاد الأشوريين واستمتاعه بحضارتهم وثقافة بلاد الهلال الخصيب (الحمداوي، د.ت، ص 2).

3. إشكالية كتابات يوبا الثاني بين الإنصاف والنقد؟

استطاع يوبا الثاني الكتابة والتأليف في شتّى المجالات مستغّلا في ذلك ثقافته العلمية وحنكته اللغوية، إلا أنه يصعب علينا معرفة القيمة العلمية الحقيقية لمختلف تلك الأعمال نظرا لفقدانها بسبب:

الحروب التي شهدتها فترة بطليموس وآيديمون مع القوات الرومانية إبان الإمبراطور كاليغولا، وفي هذا الصدد يقول جميل الحمداوي: "**نعتقد أن السبب الرئيسي في فقدان الإرث التاريخي في المغرب في عهد يوبا الثاني يعود أساسا إلى الحروب التي شهدتها المنطقة، وخاصة المواجهات مع الرومان في أعقاب إقدام الإمبراطور الروماني كاليغولا على اغتيال الملك المغربي بطليموس، وانحلال الحكم المركزي بكل ما حمله ذلك من تدهور وضعية المدن الرئيسية مثل: وليلي...الخ ، ودخول المغرب القديم في تشذّرم لم يساعد على إقامة حياة عمرانية مستقرة توفر الظروف لحفظ الإرث المكتوب، ومن ضمنه ارث يوبا الثاني وآخرين، وربما قد يكونوا قد وجدوا ولم تصل أخبارهم**" (الحمداوي، د.ت، ص 9).

أمام هذه الظروف التاريخية أصبح علينا كباحثين في التاريخ القديم الاعتماد على تلك الشذرات الواردة في بعض مؤلفات مؤرخي الإغريق والرومان الذين نقلوا عنه الكثير من المعلومات العلمية، وبواسطتهم تمكنّا من التعرف على مؤلفاته وأهم إسهاماته العلمية، والحكم عليها، واستنادا على هذه العبارة، فقد اختلفت نظرة المؤرخين والنقّاد إلى هذه الكتابات بين النقد تارة والإنصاف تارة أخرى.

مما تجدر الإشارة إليه أن المؤرخين الإغريق المعاصرين للملك يوبا الثاني أشادوا كثيرا بمعارفه وبمهاراته العلمية والثقافية، واعتبروه كعالم ومفكر أكثر منه ملكا يحكم مقاطعة موريطانيا الرومانية، منبهرين بغزارة وتنوع إنتاجه المتمثل أساسا في مؤلفات حول التاريخ، الجغرافيا، التاريخ الطبيعي، الفنون، الشعر...الخ، حيث يشير المؤرخ الإغريقي باوسنياس أن أهل أثينا من شدّة إعجابهم به وبفكره وإنتاجه في عالم المعرفة الإنسانية أن منحوا له حق المواطنة الشرفية تكريما له، وأقاموا له تمثالا ضخما أمام مبنى الجيمنازيوم بالقرب من إحدى مكتبات مدينتهم (Pausanias, 1992, I,17,2)، اعترافا بفضله وتخليدا لمكانته المرموقة بين المثقفين المعاصرين، وفي نفس الوقت هي إشارات تدل على أن جلّ مؤلفاته كانت باللغة الإغريقية بسبب تأثير زوجته كليوباترا سيليني فيه، والتي كانت لها قرابة عائلية بإغريق الاسكندرية (البطالمة) أو راجع إلى تعليمه في بداية مشواره العلمي على اللغة الإغريقية في مملكة والده يوبا الأول (بن شنيهو، 2007، ص 61) .

الجدير بالذكر أن المؤرخ بلين الكبير أعجب بكتاباته واستشهد بمعلوماته التي سجلّها في حوالي ثماني وثلاثين مرة في كتابه الشهير "**التاريخ الطبيعي**" "**Histoire Naturelle**"، وألمح إليه عشرات المرات حول جغرافية شمال إفريقيا وآسيا، وعن الحيوانات والنباتات وغيرها، ففي هذا الصدد يصفه بعبارة: "**كانت شهرة يوبا بخدماته العلمية تفوق شهرته كملك**" (Pline, 1980, V , 1, 16.)، واستشهد بمعلوماته التي سجلّها خاصة

حوالي ثماني وثلاثين مرة في كتابه الشهير "**التاريخ الطبيعي**" "Histoire Naturelle"، وألمح إليه عشرات المرات حول جغرافية شمال إفريقيا وآسيا، وعن الحيوانات والنباتات وغيرها، بينما يشيد بلوتارك عليه كثيرا بقوله: "**أنه أفضل المؤرخين الذين وجدوا من بين ملوك العالم القديم، وهو احد كبار المؤرخين الذين كانت لهم معرفة في عالم الثقافة الإغريقية**" (Plutarque, 1934, 9)، وذكره أكثر من ثماني مرات في مؤلفه "**حياة المشاهير** " "**Les vies des hommes illustres**"، واعتمد أيضا على كتابه المعنون بـ: "**الآثار الرومانية**" اعتمادا أساسيا لدى وصفه لتطور روما وأخبار أشهر ملوكها، خاصة فيما يتعلق بحياة روملوس (Romulus) البطل الأسطوري الذي أسس مدينة روما، كما اقتبس منه معلومات تخص الملك نوما (Numa) الذي حكم روما بعد روملوس، وأيضا حملة سيلا (Sylla) على بلاد الإغريق سنة 680 ق.م .

وقد تواصل الاعتماد على مؤلفاته والاستشهاد بها إلى غاية القرن الخامس الميلادي، حيث ذكره الكثير من الكتاب مثل: عالم الحيوان الإغريقي الاسكندر ميندوس الذي أورد معلومات يوبا الثاني عن الحيوانات، بالإضافة إلى الكاتب إيليوس صاحب كتاب "**طبيعة الحيوان**" الذي أورد كلام يوبا الثاني في كتابه هذا عدّة مرات خاصة لما تعرض لوصف حيوان الفيل (شنيتي، 2003، ص 165)، حيث استطاع يوبا الثاني في كتابه ليبيكا (Libyca) شرح طريقة دفاع الفيل عن نفسه بواسطة قرونه وليس بأنيابه، كما أشار إلى أن الفيل يمتاز بذكاء حاد عجيب، ويستطيع معالجة نفسه عندما يصاب بجروح، وأنه يعمر طويلا (Gsell , 1927, p. 182).

إضافة إلى ذلك نجد المؤرخين اللاّتين الذين أشاروا إلى أن مصدر معلوماته حول مصدر النيل كانت الكتب القرطاجية البونيقية، مثلما نجده في كتابات سولين الذي يقول فيها مايلي: "...**هذا النهر (النيل) يجري من منبع مجهول تقريبا، لكن كما سنذكره لاحقا ، يأخذ منبعه من جبل في موريطانيا الداخلية، وهو جبل ليس بعيدا عن المحيط، هذا ما تؤكده الكتب البونيقية، وهذا حسب ما نعلم ما ذكره يوبا...**" (Solin, 1847, XXXII,2) ، بينما يذكر الباحث آميانوس في قوله: "... **وباعتماده على الكتب البونيقية يشرح الملك يوبا أن النيل يأخذ منبعه من جبل يقع بموريطانيا، التي تهيمن على المحيط، ولم يظهر كدليل لهذا سوى أنه في النيل وفي مستنقعات هذه البلاد تعيش نفس الأسماك ونفس الأعشاب ونفس الحيوانات الضخمة** ..." (Ammien, 1860, pp. XII,15,8).

من جهة أخرى حاول بعض المؤرخين المعاصرين انتقاد مؤلفات يوبا الثاني واعتبارها ليست مؤهلة للدراسة والتمحيص، وأنها مجرّد أساطير وروايات في معظمها غير واضحة، فقاموا بإصدار أحكاما قاسية عليها مستصغرين قيمّتها العلمية والثقافية، وهذا ما نلمحه عند شارل أندري جوليان الذي وصف أدبه بالرخيص بقوله: "...**لم ينشط العاهل الجديد بنشاط آبائه، ولما لم تترك له الحماية الرومانية سوى المظاهر، فانصرف إلى العناية بالمجموعات الفنية والأدب الرخيص**" (جوليان، 1969، ص 172)، في حين نعت كل من المؤرخ الفرنسي غوتيه ومارسال بن نبو أعماله وكتاباته بالرّداءة (شنيتي، 2003، ص 165).

في حين بذل ستيفان غزال "Stéphan Gsell" جهدا كبيرا في التحقيق فيها، إلا أنه افسد بحثه بالتعليقات المجحفة بحق يوبا الثاني كعالم ودارس في نفس الوقت، وأخطأ لما نظّر إلى مؤلفاته بنظرة العالم الباريسي من أهل القرن العشرين، واعتبره ناقلا للكتب السابقة أو كتب معاصريه، ولم يبدع في أعماله كثيرا بل رصد له كثيرا من الأخطاء العلمية وكثرة الأفكار التي تقدح في علميته وعبقريته الفذة، لكنه يتناسى أن يوبا الثاني كان شغالا في مجال الاستكشاف والتنقيب والقراءة والبحث، وليس إنسانا عاديا ينقل من هنا وهناك (الحمداوي، د.ت، ص 10)، فتهكم وسخر من كلامه، عن عشق الفيلة، ورقة الأسود، وعن الطيور الخرافية، ومنابع النيل ...الخ، متناسيا أن هذه الأمور والوقائع كانت في زمن يوبا الثاني حقائق مسلمة بها (التازي، 2008، ص31)، وفي هذه الصدد يقول: "**تعترف صراحة أن هذا العلم لم يكن من نوع رفيع وان هذه المؤلفات العالمة كانت على ما يظهر نقولا مستعجلة، وأن مجهود الناسخين فيها، قد هيأ بصفة واسعة عمل المؤلف** ..." (Gsell, 1927, p. 184).

في هذا المجال أيضا يقول أنه استقى معلومات كتاباته وجمعها من بعض المصادر التي سبقته أو عاصرته، حيث اعتمد على بيروز (Bérose) في كتاب تاريخ الأشوريي، واعتمد أيضا على عدد من رفقاء الاسكندر ومؤرخيه خصوصا الربان أونسكريت (Onésicrite) والقائد نيبارك (Néarque) في مؤلفه أرابيكا، وفيما يخص "**أصول روما**" فإن الكثير من فقراته تتطابق مع فصول من دونيس الهليكرناسي (Denys D'halicarnasse) الذي نشر كتابه عن الاركيولوجية الرومانية سنة 7ق.م، كما قيل أنه أخذ كثيرا من كتابات تيت ليف في تاريخ روما، ولكن كل هذه الأمور كانت مجرد فروض واهية، إلا أنه رجع إلى مؤرخ لاتيني آخر من أهل عصره هو سولبيسيوس كالبا (S.Calba) الذي ذكر اسمه بمناسبة حديثه عن روملوس (الحمداوي، د.ت، ص 10).

الغريب أن ستيفان غزال قد حكم على عقل يوبا وعلى علمه ومؤلفاته جملة جملة، مع العلم أنه لم يقرأها كما لم يقرأها أحد من المتأخرين لأنها ضاعت ولم يبق منها سوى فقرات أو جمل أو عبارات مبعثرة هنا وهناك في ثنايا كتب المؤرخين القدامى الذين نقلوها عنه مباشرة، أو نقلها بعضهم عن البعض، فأصابها التحريف والتزييف (التازي، 2008، ص 31).

ترجع الدراسات التاريخية أن سبب هذا التحامل على كتابات يوبا الثاني وأبيه يوبا الأول من قبل الكتاب الفرنسيين الذين أرّخوا للمغرب الكبير في عهد الاستعمار الفرنسي إلى أنهم كانوا يعتبرون الفرنسيين ورثة الرومان في إفريقيا الشمالية، ويرون أن الأهالي "**Les indigènes**" لا يمكن أن يكونوا إلا أهالي في الماضي والحاضر على السواء (شفيق، 1989، ص 77).

مهما يكن من أمر، يمكننا القول أن يوبا الثاني كان من المثقفين المغاربة الذين تعتمد عليهم الإمبراطورية الرومانية في التكوين والتأطير والتدريس وجمع المادة المعرفية المتنوعة التي تتمثل في الجغرافيا والحفريات واللغويات والفنون والتاريخ...الخ، وكانت ليوبا الثاني مكانة كبيرة في المجتمع الروماني مادام حظي بتدريس

يوليوس قيصر الروماني وسهر على تثقيفه وتعليمه ، وبالرغم مما تمّ ذكره حول مؤلفاته في ذلك العصر خليطا بين الجدّ والهزل والحقائق والخرافات والأخبار الغريبة والأساطير والمعلومات الثمينة التي يمكن أن تجيب عن عدّة إشكاليات وتحل مشاكل بقيت غامضة لتاريخ بلاد المغرب القديم .

4. نهاية عهده

في ظل اهتمام يوبا الثاني بالتأليف والتدوين، أهمل رعيّته ورماها في العبودية والحماية الرومانية من جهة، ومن جهة أخرى أراد أن يغرس فيهم حبّ الرومان وثقافتهم، لكن الثقافة تتنافى مع العبودية فلم يكن يدرك قيمة وطنه وقيمة شعبه، فثار ضده السكان المحليين رافضين سياسة رومنة المنطقة، وأشهرها التمردات التي قامت في سنوات 21/22 ق.م على حدود مقاطعة إفريقيا، وكان النصر فيها حليفا للرومان، حيث قام البروقنصل سومبرونيوس بالقضاء عليها، كما عرفت سنة 20 ق.م تمرد بعض قبائل الجيتول وقبائل الغرامنت في الجنوب على سياسة يوبا الثاني، فهاجموا المستوطنات الرومانية التي عمل يوبا الثاني على إقامتها وحمايتها، ورغم الانتشار الذي عرفه هذا التمرد، نجح البروقنصل بلبوس في القضاء عليها بعد أن هزمهم في معركة على ضفاف الحضنة (Pline, 1980, V,20).

غير أنه يمكننا القول أن الاضطرابات استمرت وأعمال العنف المناهضة لحكم الملوك الموريين وسياستهم القائمة على التحالف مع الرومان وحماية مصالحهم في المنطقة مثلما هو الحال مع محاولته لإخماد ثورة القائد النوميدي تاكفاريناس (24-17م)، إلا أنه توفي بعد ملك دام حوالي خمسين سنة في سن 72 سنة أي حوالي 25م، وبالاعتماد على العملات التي صكت في عهده، وبالتحديد آخر عملة مؤكدة تعود له مؤرخة في سنة 48 م من حكمه مما يضعنا أمام تاريخين 24 أو23م (Gsell, 1918-1928, p. 211)، وحتى رواية تاسيت "**Tacite**" توافق هذا الطرح عندما يذكر أنه في حوالي نهاية صيف عام 24 م قدمت بعثة رومانية مرسلة من طرف مجلس الشيوخ إلى موريطانيا حاملة لبطليموس- ابن يوبا الثاني- لقب ملك وحليف وصديق الشعب الروماني نتيجة الخدمات المقدمة للقوات الرومانية خلال حربها ضد تاكفاريناس لدرجة أن طالب أحد السيناتورين بمنحه صولجان العاج (Tacite, 1993, IV, 26) .

خاتمة

في الأخير نستخلص أن يوبا الثاني ملك مغاربي مثقف استطاع أن يظهر بلاد المغرب القديم بطريقة تضاهي اليونان والرومان في مجال الآداب والفنون والعلوم والمعارف الفكرية، بالرغم من بعض السلبيات التي كانت تشوه صورة يوبا الثاني بتحالفه مع الرومان، وأنّه سخّر لخدمة روما كلّيا وعمل على تمجيد أباطرتها وقاوم كل من وقف ضد روما في موريطانيا، حتى من أبناء جلدته، إلا أنه يبقى من أهم ملوك بلاد المغرب القديم الذي لم ينس انتمائه وأصله، متميزا بشخصيته المثقفة وكثرة الإنتاج والتراكم الثقافي، ومن ثمة فقد خدم الثقافة المغاربية حتى أصبح انموذجا يحتذى به في البحث الجغرافي ومجال الاستكشاف الطبيعي والتنقيب الميداني، وصار عالما مغاربيا بارزا يضرب به المثل في المدن الرومانية واليونانية خاصة مدينة أثينا، ومهما

يكن فإنه كان يوما ما مرآة عاكسة لأساتذته وعلماء عصره، وفي الوقت نفسه استطاعت أن تعرف مملكته الرخاء الاقتصادي والتطور التجاري، وتحسنت الأحوال الاجتماعية وانتعشت النهضة الفكرية والثقافية.

التعليقات والشروحات

1 **معركة تابسوس:** هي معركة وقعت في 46 ق.م في منطقة تابسوس أو رأس الديماس بين قيصر ويوبا الأول، وانتهت بفوز قيصر وانتحار يوبا الأول، وتحويل جانبا كبيرا من نوميديا إلى ولاية رومانية باسم إفريقيا الجديدة "provincia africa niva" وامتدت حدودها من المجرى الأسفل لنهر الوادي الكبير "ampsong" من جبال الاوراس غربا قفصة وتكاباس جنوبا ...، للمزيد ينظر: فتيحة فرحاتي، **نوميديا من حكم غايا إلى بداية الاحتلال الروماني (213ق.م –46ق.م)**، منشورات آبيك، 2007، ص 183.

2 اتصف يوبا الثاني بشغفه الشديد على الاطلاع في مجال الأدوية والكيماويات، حيث استقدم إليه من بلاد اليونان عالما باحثا هو الطبيب أوفوربوس(افرب) (Euphorbe) – هو طبيبه الشخصي شقيق طبيب الإمبراطور– الذي كان يخرج إلى جبال الأطلس وينتقل في أرجاءها، وهناك عثر على نبات طبّي لم يسبق العالم الإغريقي أن عرفه من قبل ، فأطلق عليه اسم اوفوربيا "Euphorbia" نسبة إلي، وكان هذا النبات إذا عصر أعطى سائلا تعزى له عدة خصائص طبية، فذاع صيته في العالم القديم وكثر الطلب عليه، إذ اشتهرت فوائد اللباب المستخرج من هذه النبتة بمفعوله في إذكاء حدّة البصر ومصل ضد السموم ولدغ الأفاعي... للمزيد ينظر: محمد فروخي، **ملوك إفريقيا في العصور القديمة ،أسلافنا الملوك النوميديين** ، تكسان ، 2012، ص63.

3 **السويرة:** هي جزيرة صغيرة صخرية قريبة من شاطئ مدينة الصويرة، ذات الاسم الفينيقي القديم وهو مقادور/مجدر (Mogador) نسبة إلى الجدار أي السور العال، حيث قامت عدة بعثات تنقيبية بها برئاسة سنتاس(Cintas) وجودان (Jodin) ...الخ، ويعتقد أن الفينيقيين هم أول من أقاموا متجرا لهم بهذه المنطقة منذ القرن الرابع قبل الميلاد، ثم هجر هذا الموقع بعد اضمحلال قرطاجة، ثم أعاد له الحياة يوبا الثاني الذي احتكر هذه الصناعة الأرجوانية النادرة التي اشتهرت بصباغة الأردية التي كان يلبسها الملوك والأمراء ومن في منزلتهم، وعرفت هذه الأصباغ باسم الأصباغ الجيتولية نسبة للسواحل الجيتولية أو نسبة للصيادين الجيتوليين الذين كانوا يجمعون المحار ويعصرونه، ولعّل ثمنها المرتفع هو سبب ثروة يوبا الثاني وابنه بطليموس، ويعتقد أن هذه المصانع كانت تتكون من عدة أبنية وتشغل العديد من البحارة والعمال بدليل وجود حي كبير لهذه الصناعة في كل من لكسوس وجزيرة الصويرة ...، للمزيد ينظر: محمد التازي سعود، **صفحات من التاريخ المغاربي القديم**، ط1، منشورات فكر ، الرباط ، 2008 ، ص ص 109–110.

قائمة المصادر والمراجع:

- بكبوط محمد. (2002). **الممالك الامازيغية في مواجهة التحديات (المجلد ط1)**. الرباط: منشورات طارق بن زياد.
- بعيطيش عبد الحميد. (2021). **حقيقة كنز يوبا المفقود في أمريكا)دراسة نقدية لكتاب " The lost teasure of king Juba , the evidence of Africans in America before Columbus** ". مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية ، ع4.
- بوزيان الدراجي. (2003). **القبائل الأمازيغية (الإصدار ج1)**. الجزائر: دار الكتاب العربي.
- بن شنيهو عبد الحميد. (2007). **الملك العالم يوبا الثاني**. الجزائر: وزارة الثقافة.
- التازي محمد سعود. (2008). **صفحات من التاريخ المغاربي القديم** .ط1. الرباط: منشورات الفكر.
- حارش محمد الهادي. (2013). **دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديم**ة. الجزائر: دار هومة.
- الحمداوي جميل. (د.ت). **يوبا الثاني الملك الأمازيغي المثقف**. دار الجديد.
- جوليان شارل اندري. (1969). **تاريخ شمال إفريقيا .(الإصدار ج 1)**. (محمد مزالي، و البشير بن سلامة، المترجمون) تونس: الدار التونسية للنشر.

- ساحير نصيرة. (2011). **نشاط يوبا الثاني العلمي.** أشغال الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة. بوزريعة، الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.
- السليماني أحمد. (2007). **تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة.** ط1. الجزائر: دار القصبة للنشر.
- شنيتي محمد البشير. (2003). **أضواء على التاريخ الجزائر القديم "بحوث ودراسات".** الجزائر: دار الحكمة.
- شفيق محمد. (1989). **لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الامازيغيين (المجلد ط1).** الرباط: دار الكلام.
- فرحاتي فتيحة. (2007). **نوميديا من حكم غايا إلى بداية الاحتلال الروماني (213ق.م –46ق.م). منشورات** آبيك.
- فروخي محمد. (2012)، **ملوك إفريقيا في العصور القديمة.** أسلافنا الملوك النوميديين. تكسان.

- Benabou, M. (1990). **la résistance Africaine a la romanisation.** paris.
- Caltelloni, M. T. (1997). **Le royaume de Mauritanie sous Juba II et ptolémée**. paris: CNRS.
- Dion, c. (1846). **Histoire romaine**. (E. F. Hoefer, Trad.). paris.
- Gsell, S. (1918-1928). **Histoire ancienne de l'afrique du nord**,TVIII .paris: libraire Hachette.
- Gsell, S. (1927). **Juba II** , Savant et écrivain. Revue africaine .
- Jallet, M. h. (2006). **les rois numides et la conquête de l'Afrique du Nord par les romains**. paris.
- Marcellin Ammien .(1860) .**Jornandès** .paris.
- Pausanias. (1992). **Dexription de la Grèse.** (J. Pouillox, Trad.) france: Collection de université de france.
- Pline, l. (1980). **Histoire naturelle**. paris, Desange, J: les belles lettres.
- Plutarque. (1853). **les vies des hommes illustres : Vie D'antoine**, IV. (P. Raingeard, Trad.) paris: Charpentier, Libraire-Editeur.
- Plutarque. (1934). **les vies des hommes illustres**. (P. Raingeard, Trad.) édition Chartres.
- Solin. (1847). **recueil de Curiosités.** (C.L.F, Éd.) Panckoucke , bibliothèque Latin –Française.
- Strabon. (1969). **Géographie.** (1969, Éd., & G. Aujc, Trad.) Strabon: Géographie.
- Tacite. (1993). **Annales, Texte présente**. (P. Grimal, Trad.) paris: Gllimard imprimerie.